الدُّخُولُ فِي مَعِيَّةِ اللهِ ﷻ..

أَسْبَابُهُ وَآثَارُهُ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ:

*أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ: الْعِلْمُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَرْضَاتِهِ، وَانْجِذَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ فَهَذَا أَشْرَفُ مَا فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاؤُهُ أَشْرَفُ مَا فِي الْآخِرَةِ.

وَأَجَلُّ الْمَقَاصِدِ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِذِكْرِهِ؛ وَهَذَا أَجَلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا.

وَإِنَّمَا يَشْعُرُ الْعَبْدُ تَمَامَ الشُّعُورِ بِأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ إِذَا انْكَشَفَ لَهُ الْغِطَاءُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا وَدَخَلَ الْآخِرَةَ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الدُّنْيَا -وَإِنْ شَعَرَ بِذَلِكَ بَعْضَ الشُّعُورِ- فَلَيْسَ شُعُورُهُ كَامِلًا لِلْمُعَارَضَاتِ الَّتِي عَلَيْهِ، وَالْمِحَنِ الَّتِي امْتُحِنَ بِهَا، وَإِلَّا فَلَيْسَتِ السَّعَادَةُ فِي الْحَقِيقَةِ سِوَىٰ ذَلِكَ.

وَكُلُّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ تَبَعٌ لِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، مُرَادَةٌ لِأَجْلِهَا، وَتَفَاوُتُ الْعُلُومِ فِي فَضْلِهَا بِحَسَبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَبُعْدِهَا، فَكُلُّ عِلْمٍ كَانَ أَقْرَبَ إِفْضَاءً إِلَىٰ الْعِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَهُوَ أَعْلَىٰ مِمَّا دُونَهُ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْقَلْبِ؛ فَكُلُّ حَالٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْمَقْصُودِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ فَهُوَ أَشْرَفُ مِمَّا دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ، فَكُلُّ عَمَلٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ كَانَ أَفْضَلَ

مِنْ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ وَالْجِهَادُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ -أَوْ أَفْضَلَهَا- لِقُرْبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ الْمَقْصُودِ.

وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْغَايَةِ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَعِيدِ عَنْهَا، فَالْعَمَلُ الْمُعِدُّ لِلْقَلْبِ الْمُهَيِّئُ لَهُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ؛ أَفْضَلُ مِمَّا لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَإِذَا اشْتَرَكَتْ عِدَّةُ أَعْمَالٍ فِي هَذَا الْإِفْضَاءِ فَأَفْضَلُهَا أَقْرَبُهَا إِلَىٰ هَذَا الْمَقْصُودِ، وَلِهَذَا اشْتَرَكَتِ الطَّاعَاتُ فِي هَذَا الْإِفْضَاءِ فَكَانَتْ مَطْلُوبَةً لِلَّهِ، وَاشْتَرَكَتِ الْمَعَاصِي فِي حَجْبِ الْقَلْبِ وَقَطْعِهِ عَنْ هَذِهِ الْغَايَةِ فَكَانَتْ مَنْهِيًّا عَنْهَا، وَتَأْثِيرُ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي بِحَسَبِ دَرَجَاتِهَا[(١)]

قَالَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ مُقْتَضِيَةٌ لِآثَارِهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالْأَمْرِ اقْتِضَاءَهَا لِآثَارِهَا مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، فَلِكُلٍّ عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ هِيَ مِنْ مُوجِبَاتِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا -أَعْنِي مِنْ مُوجِبَاتِ الْعِلْمِ بِهَا وَالتَّحَقُّقِ بِمَعْرِفَتِهَا-، وَهَذَا مُطَّرِدٌ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَلَىٰ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.[(*)]».

❁ ❁ ❁

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم: (ص ١١٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٠٨٥-١٠٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ) الْجُمُعَةَ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ٥/ ٢٠١٤م

الْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ:

* وَنُؤْمِنُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَيْ: بِأَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةَ الْعُلْيَا.

نُؤْمِنُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ ﷻ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَنُؤْمِنُ بِالصِّفَاتِ الْعُلْيَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، وَالْمَثَلُ بِمَعْنَىٰ الْوَصْفِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَثَلَ بِمَعْنَىٰ الْوَصْفِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥] (فمَثَلُهَا) يَعْنِي: وَصْفُهَا(١).

إِذَنْ نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ ﷻ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلْيَا وَالدَّلِيلُ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَهِيَ حُسْنَىٰ بَالِغَةٌ فِي الْحُسْنِ الْمُنْتَهَىٰ، فَلَيْسَ هُنَالِكَ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا، لَهُ ﷻ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلْيَا.

أَمَّا الصِّفَاتُ الْعُلْيَا فَلِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، وَالْأَعْلَىٰ كَمَا تَعْلَمُونَ اسْمُ تَفْضِيلٍ فَصِفَاتُ اللهِ ﷻ أَعْلَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الصِّفَاتِ.

فَلَيْسَ هُنَالِكَ مَا هُوَ أَعْلَىٰ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ هِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ الَّتِي لَيْسَ هُنَالِكَ مَا هُوَ أَحْسَنَ مِنْهَا

---

(١) «معالم التنزيل» للبغوي: (٤/ ٣٢٢).

الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَا هُوَ؟

إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؟

قُلْنَا: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَنَّ الْأَسْمَاءَ تَسَمَّىٰ اللهُ بِهَا، وَأَمَّا الصِّفَاتُ فَوَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَالصِّفَاتُ أَعَمُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ وَلَيْسَ كُلُّ صِفَةٍ مُتَضَمِّنَةً لِلِاسْمِ-.

إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَاسَمَّىٰ نَفْسَهُ السَّمِيعَ، وَهَذا الِاسْمُ الْكَرِيمُ نُؤْمِنُ بِهِ، وَنُؤْمِنُ بِالصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا وَهِيَ السَّمْعُ، وَنُؤْمِنُ بِالْأَثَرِ، هُوَ أَنَّ اللهَ ﷻ يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَكَذَلِكَ سَمَّىٰ نَفْسَهُ ﷻ الْبَصِيرَ؛ فَنُؤْمِنُ وَنُثْبِتُ هَذَا الِاسْمَ للهِ ﷻ سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ، وَنُؤْمِنُ بِالصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَها الِاسْمُ وَهِيَ الْبَصَرُ، وَنُؤْمِنُ بِالْأَثَرِ، لِأَنَّ السَّمِيعَ وَالْبَصِيرَ مُتَعَدِّيَانِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الِاسْمُ لَازِمًا فَإِنَّنَا نُؤْمِنُ بِالِاسْمِ وَنُثْبِتُهُ للهِ ﷻ وَنُؤْمِنُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ.

الْحَيُّ: هَذَا لَازِمٌ وَلَيْسَ بِمُتَعَدٍّ، فَنُؤْمِنُ بِهِ اسْمًا للهِ ﷻ، كَمَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ، كَما نُؤْمِنُ بِالصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا، وَهِيَ: الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِالْعَدَمِ، وَلَا هِيَ مَلْحُوقَةٌ بِالْمَوْتِ، وَالَّتِي هِيَ كَامِلَةٌ الْكَمَالَ كُلَّهُ، فَهَذَا اسْمٌ لَازِمٌ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الِاسْمُ مُتَعَدِّيًا كَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ، فَإِنَّنَا نُثْبِتُ للهِ ﷻ الِاسْمَ، وَالصِّفَةَ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الِاسْمُ، وَالْأَثَرَ؛ وَأَمَّا الصِّفَةُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ وَلَمْ يُسَمِّ نَفْسَهُ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تُشْتَقُّ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ، إِنَّ اللهَ ﷻ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَجِيءُ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَجِيءِ.

وَاللهُ ﷻ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِرَادَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ الِاسْمَ الَّذِي يُشْتَقُّ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ؛ فَيُقَالُ إِنَّ اللهَ ﷻ يُرِيدُ، وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُرِيدُ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ يَشَاءُ، وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الشَّائِي، وَأَنَّه يَجِيءُ، وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْجَائِي؛ فَإِذَنْ الصِّفَةُ أَوْسَعُ مِنَ الِاسْمِ، كُلُّ اسْمٍ يَتَضَمَّنُ صِفَةً، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ ﷻ بِهِ نَفْسَهُ يُشْتَقُّ مِنْهُ اسْمٌ للهِ ﷻ.

الصِّفَاتُ أَعَمُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ:

كَذَلِكَ الصِّفَاتُ وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَالصِّفَاتُ أَعَمُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، وَلَيْسَ كُلُّ صِفَةٍ مُتَضَمِّنَةٌ لِلِاسْمِ-وَلِهَذَا فَنَصِفُ اللهَ بِأَنَّهُ صَانِعٌ-وَصْفًا-، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، وَلَا نُسَمِّيهِ الصَّانِعَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا نَصِفُ اللهَ ﷻ بِأَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُنَافِقِينَ، وَلَا نُسَمِّيهِ الْمُسْتَهْزِئَ، كَذَلِكَ نَصِفُ اللهُ بِأَنَّهُ يَمْكُرُ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ وَمَنْ مَكَرَ بِأَوْلِيَائِهِ وَلَا نُسَمِّيهِ مَاكِرًا.

فَفَرْقٌ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ تَسَمَّىٰ اللهُ بِهَا، وَأَمَّا الصِّفَاتُ فَوَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ وَهِيَ أَعَمُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَكُلُّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، وَلَيْسَ كُلُّ صِفَةٍ مُتَضَمِّنَةً لِلِاسْمِ.

أَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَى كُلُّهَا حُسْنَى:

وَلَيْسَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ اسْمٌ جَامِدٌ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَىٰ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللهُ ﷻ لِنَفْسِهِ كُلُّهَا حُسْنٌ إِذْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي أَسْمَائِهِ اسْمٌ جَامِدٌ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِفَةٍ أَبَدًا، لِأَنَّ الِاسْمَ الْجَامِدَ لَيْسَ فِيهِ مَعْنًىٰ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنًىٰ حَسَنًا، مِثَالُ الْجَامِدِ: أَسَدٌ

فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا نَظَرَ فِيهَا لَا يَجِدُ فِيهِ أَيَّ مَعْنًىٰ يَدُلُّ عَلَيْهِ

مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ جَامِدٌ، هَذَا اسْمٌ جَامِدٌ، غَيْرُ مُشْتَقٍّ كَذَلِكَ أَيْضًا رُبَّمَا تُسَمِّي بَعْضُ النَّاسِ خَالِد مَعَ أَنَّ هَذَا الِاسْمَ لَيْسَ مُتَضَمِّنًا لِصِفَةٍ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤]- فَهُوَ إِلَىٰ زَوَالٍ وَإِنْ سُمِّيَ خَالِدًا، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ- رُبَّمَا نُسَمِّي تُسَمِّي شَخْصًا عَبْدَ اللهِ-أَوْ سُمِّيَ بِهِ- وَهُوَ مِنْ أَفْجَرِ عِبَادِ اللهِ فَلَيْسَ عَبْدًا للهِ، وَرُبَّمَا تَسَمَّىٰ شَخْصٌ مُحَمَّدًا شَخْصٌ بِمُحَمَّدٍ وَهُوَ مُذَمَّمٌ لَيْسَ عِنْدَهُ خَصْلَةٌ حَمِيدَةٌ- وَهَذَا كَثِيرٌ.

فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُقَالُ لَهُ نَخْلَةٌ، وَلَا تَكَادُ تَرَاهُ مِنْ قِصَرِهِ، أَوْ يُقَالُ لَهُ فَانُوسٌ، وَهُوَ أَظْلَمُ مِنَ الظُّلْمَةِ، أَوْ أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الظُّلْمَةِ، فَهِيَ كَمَا تَرَىٰ لَا تَتَضَمَّنُ الْمَعْنَىٰ-، أَمَّا أَسْمَاءُ اللهِ ﷻ فَمُتَضَمِّنَةٌ لِلْمَعْنَىٰ، وَلِهَذَا لِذَلِكَ قِيلَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، فَكُلُّ اسْمٍ عَلَمٍ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ الذَّاتِ وَهُوَ أَيْضًا صِفَةٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ اسْمُ اللهِ-.

أَسْمَاؤُهُ ﷻ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ كَرِيمٍ شَرِيفٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَعْنًىٰ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ مُتَرَادِفَةٌ عَلَىٰ اعْتِبَارِ الْعَلَمِيَّةِ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ ذَاتٍ

وَاحِدَةٍ، كُلُّهَا مُتَرَادِفَةٌ، مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الذَّاتِ، فَالسَّمِيعُ هُوَ الْبَصِيرُ هُوَ الْعَلِيمُ هُوَ الْحَكِيمُ هُوَ اللَّطِيفُ هُوَ الْخَبِيرُ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الذَّاتِ.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَىٰ فَهِيَ مُتَبَايِنَةٌ، فَمِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الذَّاتِ فَكُلُّهَا مُتَرَادِفَةٌ، أَعْلَامٌ تَدُلُّ عَلَىٰ ذَاتٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْكَرِيمَةِ الشَّرِيفَةِ فَهِيَ أَوْصَافٌ، وَهِيَ مُتَبَايِنَةٌ، فَإِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىٰ لَا يَكُونُ السَّمِيعُ هُوَ الْبَصِيرُ، وَلَا الْعَلِيمُ هُوَ الْخَبِيرُ.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ الْمَدْلُولُ عَلَيْهَا بِهَذَا الْعَلَمِ، فَذَاتٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ ذَاتُ رَبِّنَا ﷻ فَإِذَنْ كُلُّ اسْمٍ عَلَمٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ الذَّاتِ وَأَيْضًا هُوَ صِفَةٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، فَأَسْمَاءُ اللهِ ﷻ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، أَعْلَامٌ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الذَّاتِ، وَأَوْصَافٌ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ الْمَعَانِي، إِذْ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ مُتَضَمِّنٌ لِمَعْنًىٰ- وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ اسْمُ اللهِ-.

وأَمَّا أَسْمَاءُ غَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَأَعْلَامٌ، قَدْ يَتَسَمَّىٰ إِنْسَانٌ بِحَكِيمٍ وَهُوَ أَسْفَهُ النَّاسِ، إِلَّا أَسْمَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِلَّا أَسْمَاءَ الْقُرْآنِ فَهِيَ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ أَيْضًا

إِذَنْ أَسْمَاءُ اللهِ ﷻ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، فَهِيَ عَلَمٌ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الذَّاتِ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ الْوَصْفِ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ حَقِيقَةً، عِنْدَمَا نَقُولُ السَّمِيعُ تَدُلُّ عَلَىٰ صِفَةِ السَّمْعِ للهِ، وَعِنْدَمَا نَقُولُ الْبَصِيرُ تَدُلُّ عَلَىٰ صِفَةِ الْبَصَرِ للهِ، وَالْعَلِيمُ وَالْخَبِيرُ واللَّطِيفُ وَالْحَكِيمُ؛ وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ ﷻ فَهِيَ أَعْلَامٌ، قَدْ لَا تَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتِ الذَّاتُ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا الِاسْمُ عَلَىٰ ضِدِّ الصِّفَةِ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا الِاسْمُ، هَذَا كَثِيرٌ فِي الْمَخْلُوقَاتِ.

إِذَنْ فِي أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ، وَفِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْمَاءُ الْقُرْآنِ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، تَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الصِّفَةِ حَقِيقَةً؛ يَعْنِي: مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَمٌ عَلَىٰ نَبِيِّنَا ﷺ، وَهَذَا الْعَلَمُ مُتَضَمِّنٌ لِأَنَّهُ مَحْمُودٌ ﷺ، وَالِاسْمُ تَضَمَّنَ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْخِصَالِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا ﷺ فَهُوَ مُحَمَّدٌ.

غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ تَسَمَّىٰ بِمُحَمَّدٍ قَدْ يَكُونُ مُذَمَّمًا، وَفِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُذَمُّ بِهَا مَا لَا يُحْصَىٰ، فَهَلْ يَكُونُ الِاسْمُ مُنْطَبِقًا عَلَىٰ هَذَا الْمُسَمَّىٰ؟ لَا يَكُونُ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَمٌ فَقَطْ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوَصْفُ فَلَا يَتَضَمَّنُ شَيْئًا، وَأَمَّا أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فَهِيَ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ؛ فَهُوَ مُحَمَّدٌ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْمَحَامِدِ وَكَثِيرُ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، وَهُوَ أَحْمَدُ لِأَنَّهُ أَحْمَدُ النَّاسِ للهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ أَحْمَدُ مَنْ يَحْمَدُهُ النَّاسُ ﷺ.

وَالْقُرْآنُ؛ لَقَدْ سَمَّىٰ بَعْضُ الزَّائِغِينَ الْكَافِرِينَ كِتَابًا لَفَّقُوهُ سَمَّوْهُ الْفُرْقَانَ، وَلَيْسَ فُرْقَانًا، أَرَادُوا أَنْ يُحَاكُوا وَأَنْ يُضَاهُوا بِهِ كِتَابَ اللهِ ﷻ، فَيُطْلَقُ الِاسْمُ عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ وَلَا يَعْنِي شَيْئًا، وَأَمَّا الْفُرْقَانُ لِلْقُرْآنِ فَهُوَ فُرْقَانٌ، فَهُوَ اسْمٌ وَوَصْفٌ مَعًا.

فَأَسْمَاءُ الْقُرْآنِ وَأَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ

الْعَلَمُ: اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّىٰ مُطْلَقًا ... عَلَمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنَقًا(١)

(١) البيت لابن مالك في «ألفيته» مع الشرح لابن عقيل: (ص ١١٨، بيت ٧٢).

(يُعَيِّنُ الْمُسَمَّىٰ مُطْلَقًا) هَذَا هُوَ الْعَلَمُ: يُعَيِّنُ الْمُسَمَّىٰ مُطْلَقًا

الْجَامِدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْمُشْتَقُّ:

الْجَامِدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّهُ ﷻ لَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ اسْمٌ جَامِدٌ، الْجَامِدُ وَالْمُشْتَقُّ، الْجَامِدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُقَابِلُهُ الْمُشْتَقُّ، مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ الذَّاتِ، جَامِدٌ كَمَا تَقُولُ: أَسَدٌ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ بِهَذَا الِاسْمِ.

الْجَامِدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُقَابِلُهُ الْمُشْتَقُّ هُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ غَيْرِهِ، يَنْقَسِمُ الْجَامِدُ الِاسْمِيُّ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: اسْمِ ذَاتٍ، وَاسْمِ مَعْنًىٰ

اسْمُ الذَّاتِ: هُوَ مَا لَهُ صُورَةٌ وَحَيِّزٌ، تَقُولُ: قَلَمٌ، وَتَقُولُ: وَرَقَةٌ، وَتَقُولُ: إِصْبَعٌ؛ فَهَذَا لَهُ صُورَةٌ وَحَيِّزٌ؛ فَهَذَا اسْمُ ذَاتٍ.

وَاسْمُ الْمَعْنَىٰ: هُوَ مَا كَانَ مِنْ مُدْرَكَاتِ الْعَقْلِ، لَيْسَ لَهُ جِسْمٌ أَوْ حَيِّزٌ، تَقُولُ: الْجُلُوسُ، الشَّجَاعَةُ، الْكَرَمُ، الْغَبَاءُ، الذَّكَاءُ، هَذَا اسْمُ مَعْنًىٰ وَهُوَ كَمَا تَرَىٰ جَامِدٌ وَلَيْسَ بِمُشْتَقٍّ، يَعْنِي: لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ

الْمُشْتَقُّ مَا أُخِذَ مِنْ غَيْرِهِ، فَالْجَامِدُ مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْمُشْتَقُّ مَا أُخِذَ مِنْ غَيْرِه، سَوَاءٌ كَانَ فِعْلًا أَوْ كَانَ اسْمًا

اسْمُ اللهِ ﷻ عَلَمٌ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلصِّفَةِ، فَيَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ، بَلْ هُوَ أَوْلَىٰ مَا يَدْخُلُ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُ مَعَ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللهُ قَالُوا: إِنَّ اسْمَ اللهِ لَيْسَ بِمُشْتَقٍّ بَلْ هُوَ مُجَرَّدُ عَلَمٍ -يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ-، فَنَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠].

كَيْفَ تَقُولُونَ: إِنَّهُ مُجَرَّدُ عَلَمٍ، وَهَذَا-الِاسْمُ الشَّرِيفُ-هُوَ أَوْلَىٰ مَا يَكُونُ وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ حُسْنَىٰ حُسْنٍ؟ فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ لَا مَعْنًىٰ لَهُ؟ وَهُوَ مُجَرَّدُ إِطْلَاقٍ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ.

صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى كُلُّهَا عُلْيَا:

اللهُ ﷻ جَعَلَ الْمَعْنَىٰ الْمُشْتَقَّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهَا اسْمُهُ تَعَالَىٰ(الله) جَعَلَ هَذَا الْمَعْنَىٰ الْأُلُوهِيَّةَ وَهَذَا كَافٍ، أَمَّا الصِّفَاتُ كُلُّهَا عُلْيَا، وَلِهَذَا لَا يُوصَفُ اللهُ ﷻ بِصِفَةٍ فِيهَا ذَمٌّ إِطْلَاقًا، فَاللهُ لَيْسَ اسْمًا جَامِدًا، بَلْ هُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ، وَهُوَ الْأُلُوهِيَّةُ، إِنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ﷻ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ الْمُشْتَقُّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ اللهِ: الْأُلُوهِيَّةُ، فَالصِّفَاتُ كُلُّهَا عُلْيَا، لَا يُوصَفُ اللهُ ﷻ بِصِفَةٍ فِيهَا ذَمٌّ إِطْلَاقًا.

كُلُّ صِفَاتِ اللهِ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الذَّمِّ وَالْقَدْحِ كُلُّهَا عُلْيَا عُلُوًّا بَيِّنًا-ظَاهِرًا لَا يَشْتَبِهُ-، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠].

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يُوصَفُ اللهُ ﷻ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ؟ نَعَمْ يُوصَفُ، لَكِنْ لَا يُسَمَّىٰ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ صِفَةٌ عُلْيَا لَكِنَّ بِاعْتِبَارِهِ اسْمًا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ اسْمًا؛ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ يَتَكَلَّمُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ يَتَكَلَّمُ بِشَرٍّ، أَوْ قَدْ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَكَلَامُ اللهِ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَأْتِ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ-وَلَكِنَّهُ وَصْفٌ يُوصَفُ بِهِ اللهُ ﷻ.

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، الْقُرْآنُ كَلَامُهُ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]

فَهُوَ كَلَامُ اللهِ ﷻ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ فَيُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، لَكِنْ لَا يُسَمَّىٰ بِهَذَا الِاسْمِ، وَلَا يَكُونُ اسْمًا لَهُ-.

وَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُرِيدٌ ﷻ يُوصَفُ اللهُ بِهِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ ﷻ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦] لَكِنْ لَا يُسَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ تَكُونُ إِرَادَةَ خَيْرٍ، وَتَكُونُ غَيْرَ خَيْرٍ: قَدْ تَكُونُ شَرًّا، أَوْ تَكُونُ لَا خَيْرًا وَلَا شَرًّا، وَاللهُ ﷻ مُنَزَّهٌ عَنْ إِرَادَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا، كُلُّ إِرَادَةِ اللهِ خَيْرٌ وَالْمُرَادُ فِيهِ خَيْرٌ وَشَرٌّ-وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِاللهِ ﷻ فَلَا يَكُونُ إِلَّا خَيْرًا.

وَلِذَلِكَ الْقَدَرُ وَالْمَقْدُورُ مِنْ حَيْثُ التَّعَلُّقُ بِاللهِ لَا يَكُونُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقْدُورِ فِي دُنْيَا اللهِ ﷻ، فَمِنْهُ الْخَيْرُ وَمِنْهُ الشَّرُّ، وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الْعُلْيَا فَلَا يَأْتِي مِنْهَا إِلَّا الْخَيْرُ-فَمَثَلًا كُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ بِإِرَادَةِ اللهِ، وَلَيْسَ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ خَيْرًا-وَأَمَّا الْخَلْقُ بِمَا فِيهِ مِمَّا يُعَدُّ شَرًّا، فَهَذَا الْخَلْقُ مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِاللهِ ﷻ خَيْرٌ، كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ خَيْرًا-، فَمِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ شَرٌّ كَالسِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ وَمَا أَشْبَهَهَا، لَكِنَّ إِرَادَةَ اللهِ لَهَا لَا شَكَّ أَنَّهَا خَيْرٌ، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْهَا إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ.

الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ قَدْ تَعْلَمُهَا أَوْ لَا تَعْلَمُهَا:

قَدْ تَعْلَمُهَا وَقَدْ لَا تَعْلَمُهَا، وَلَكِنَّهَا مَا دَامَتْ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِاللهِ ﷻ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ نَعْلَمُهَا أَوْ لَا نَعْلَمُهَا، وَلِذَلِكَ بَعْضُ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ جَاءَ الذُّبَابُ فَحَطَّ مُوقَ عَيْنِهِ فَآذَاهُ، فَطَرَدَهُ فَعَادَ، وَالذُّبَابُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذُبَابًا كَمَا يَقُولُ أَهْلُ اللُّغَةِ لِأَنَّهُ كُلَّمَا ذُبَّ آبَ، فَهُوَ ذُبَابٌ لَمَّا ذُبَّ أَيْ: طُرِدَ آبَ أَيْ: رَجَعَ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَدْ كَانَ حَاضِرًا: لِمَ خَلَقَ اللهُ الذُّبَابَ؟ قَالَ: لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَابِرَةَ

أَسْمَاءُ اللهِ ﷻ كُلُّهَا حُسْنَىٰ بَالِغَةٌ فِي الْحُسْنِ غَايَتَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتِ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لَا احْتِمَالًا وَلَا تَقْدِيرًا، أَيْ: لَا تَحْمِلُ النَّقْصَ مِنْ حَيْثُ الِاحْتِمَالُ اللَّفَظِيُّ، وَلَا مِنْ حَيْثُ التَّقْدِيرُ الذِّهْنِيُّ؛ لَا لَفْظًا عَلَىٰ حَسَبَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ، وَلَا تَقْدِيرًا مِنْ حَيْثُ التَّقْدِيرُ الذِّهْنِيُّ؛ فَلَا تَحْتَمِلُ النَّقْصَ، لَا احْتِمَالًا وَلَا تَقْدِيرًا، لَا تَحْمِلُ النَّقْصَ مِنْ حَيْثُ الِاحْتِمَالُ اللَّفْظِيُّ، وَلَا التَّقْدِيرُ الذِّهْنِيُّ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]

اسْمُهُ تَعَالَىٰ: الْحَيُّ، مُتَضَمِّنٌ لِلْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ مُتَضَمِّنٌ لِلْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي لَمْ تُسْبَقْ بِعَدَمٍ وَلَا يَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَلَا زَوَالٌ وَهِيَ الْحَيَاةُ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِكَمَالِ الصِّفَاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَغَيْرِهَا.

حَيَاتِي وَحَيَاتُكَ مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ وَيَلْحَقُهَا الزَّوَالُ وَهِيَ مَابَيْنَ هَذَا وَهَذَا تَحْتَمِلُ الْأَمْرَاضَ وَالْأَسْقَامَ وَالضَّعْفَ وَالْهَرَمَ وَمَا أَشْبَهَ، حَيَاةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَيَاةٌ كَامِلَةٌ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِعَدَمٍ، وَلَا مَلْحُوقَةٌ بِزَوَالٍ، وَهِيَ مُتَّصِفَةٌ بِكُلِّ كَمَالٍ، فَلَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ

[الْحَيُّ] صِفَةُ الْحَيَاةِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

[الْعِلْمُ] عِلْمِي وَعِلْمُكَ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ مَلْحُوقٌ بِالنِّسْيَانِ، وَهُوَ يَعْتَوِرُهُ مَا يَعْتَوِرُهُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا مِنَ الْجَهْلِ وَالنُّقْصَانِ، عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُتَضَمِّنٌ لِلْعِلْمِ الْكَامِلِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ، وَهُوَ عِلْمٌ كَامِلٌ شَامِلٌ مُحِيطٌ، وَقِسْ عَلَىٰ ذَلِكَ

بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ:

بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، لِأَنَّ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ اللهِ، وَأَفْعَالِ اللهِ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، كَمَا أَنَّ أَقْوَالَهُ ﷻ لَا مُنْتَهَىٰ

لَهَا، بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ، كُلُّ اسْمٍ يَتَضَمَّنُ صِفَةً، وَتَزِيدُ الصِّفَاتُ عَلَىٰ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ اللهِ، وَأَفْعَالُ اللهِ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، كَمَا أَنَّ أَقْوَالَهُ ﷻ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، الْفِعْلُ أَوْسَعُ مِنَ الِاسْمِ وَلِهَذَا أَطْلَقَ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَفْعَالًا وَلَمْ يَتَسَمَّ مِنْهَا بِأَسْمَاءِ الْفَاعِلِ، كَأَرَادَ، وَشَاءَ،وَأَحْدَثَ، وَلَمْ يَتَسَمَّ سُبْحَانَهُ بِالْمُرِيدِ وَلا الشَّائِي وَلَا الْمُحْدِثِ، وَكَذَلِكَ

بَابُ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ:

بَابُ الْإِخْبَارِ عَنِ اللهِ ﷻ بِالِاسْمِ هُوَ أَوْسَعُ مِنْ تَسْمِيَتِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَشْيَاءَ، وَيُخْبِرُ عَنْهُ ﷻ بِأُمُورٍ، يُخْبِرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ شَيْءٌ، هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ اللهِ، فَإِذَا سُئِلْتَ قُلْ:لَا، لَيْسَ اسْمًا للهِ، وَلَا هُوَ بِوَصْفٍ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنْهُ، وَبَابُ الْإِخْبَارِ عَنِ اللهِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ، وَبَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ، عَلَىٰ هَذَا التَّدَرُّجِ.

الْأَسْمَاءُ تَوْقِيفِيَّةٌ وَالصِّفَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ يُخْبَرُ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُوصَفُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، تُخْبِرُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ اللهِ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ مَذْكُورٌ، وَأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وَأَنَّهُ مُرَادٌ، هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُسَمَّىٰ بِذَلِكَ ﷻ.

بَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ تَوْقِيفِيَّاتٌ يَعْنِي تَتَوَقَّفُ فِيهِ عِنْدَ حُدُودِ الْوَارِدِ، لَا نُسَمِّي اللهَ تَعَالَىٰ إِلَّا بِمَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا نَصِفُ اللهَ تَعَالَىٰ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) الْمُحَاضَرَةُ(٥) الْأَحَدَ ٤ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٩هـ الْمُوَافِقَ ٢/ ١١/ ٢٠٠٨م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

قَانُونُ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

*وَقَانُونُ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أُسُسٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ فَيُثْبِتُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ، بِهَذَا الْقَيْدِ: مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلَ وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ

وَأَمَّا الْأَسَاسُ الثَّانِي: فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا نَفَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ نَفْسِهِ، مَعَ إِثْبَاتِ كَمَالِ ضِدِّهِ، وَهَذَا لِأَنَّهُمْ لَوْ نَفَوْا نَفْيًا مَحْضًا مُجَرَّدًا، فَالنَّفْيُ الْمَحْضُ الْمُجَرَّدُ عَدَمٌ مَحْضٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كَمَالًا

فَهَذَا الْقَيْدُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِيمَانِ بِصِفَاتِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ سُبْحَانَهُ مُهِمٌّ جِدًّا، لِإِثْبَاتِ الْكَمَالِ فِي النَّفْيِ، أَنَّنَا نَنْفِي عَنِ اللهِ مَا نَفَاهُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، مَعَ اعْتِقَادِ ثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ

فَنَنْفِي عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا نَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ السِّنَةَ وَالنَّوْمَ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّ ذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ وَهُوَ حَيَاتُهُ وَقَيُّومِيَّتُهُ، أَيْ لِثُبُوتِ كَمَالِ حَيَاتِهِ، وَلِثُبُوتِ كَمَالِ قَيُّومِيَّتِهِ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] وَكَذَا مَا أَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا مَسَّهُ مِنْ لُغُوبٍ، فَنَنْفِي عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اللُّغُوبَ وَهُوَ النَّصَبُ وَالتَّعَبُ لِثُبُوتِ كَمَالِ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ

وَكَذَا نَنْفِي عَنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا نَفَاهُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الظُّلْمِ لِثُبُوتِ كَمَالِ عَدْلِهِ

وَأَمَّا الْأَسَاسُ الثَّالِثُ: فَهُوَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَقْطَعُونَ الطَّمَعَ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ، يُثْبِتُونَ الْمَعَانِي وَيُفَوِّضُونَ الْكَيْفِيَّةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا أَنَّهُمْ يُفَوِّضُونَ الْمَعْنَىٰ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَإِلَّا لَصَارَتْ النُّصُوصُ مِنْ غَيْرِ مَعَانٍ، وَلَصَارَ الْقُرْآنُ مُكَلَّمًا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا لَا مَعْنَىٰ لَهُ.

وَمَا كَانَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا لِيُفَصِّلَ لَنَا فِي دَقَائِقِ الْأُمُورِ وَيَدَعَ هَذَا الْبَابَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ الْخَطِيرَ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَتَوْضِيحٍ، فَنَقْطَعُ الطَّمَعَ عَنْ كَيْفِيَّةِ صِفَاتِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ سُبْحَانَهُ، وَلَكِنْ نُثْبِتُ النَّصَّ، وَنَعْلَمُ الْمَعْنَىٰ مَكْشُوفًا، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الصِّفَةِ فَنُفَوِّضُهَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ) الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص٢٧٢-٢٧٣

الْإِيمَانُ بِصِفَتَيِ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ:

وَمِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهَا صِفَتَا الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ:

فَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مَعَ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَيَرَىٰ أَفْعَالَهُمْ وَيُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ، يَرْزُقُ الْفَقِيرَ وَيَجْبُرُ الْكَسِيرَ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ كَانَ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً، وَإِنْ كَانَ فَوْقَهُمْ عَلَىٰ عَرْشِهِ حَقِيقَةً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]

الْمَعِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَقْتَضِي الْمُصَاحَبَةَ، وَهَذِهِ الْمُصَاحَبَةُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَوَارِدِهَا وَبِحَسَبِ الْقَرَائِنِ وَالسِّيَاقِ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ الِاخْتِلَاطُ وَالِالْتِصَاقُ وَالْحُلُولُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ

الْجَمْعُ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ:

الْجَمْعُ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ مِنْ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ:

١-أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِمَا، بِأَنَّهُ عَالٍ وَبِأَنَّهُ مَعَنَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ اللهُ لِنَفْسِهِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ أَبَدًا، فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا يَدُلُّ عَلَىٰ إِمْكَانِ اجْتِمَاعِهِمَا، فَإِذَا كَانَ اللهُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا لِنَفْسِهِ دَلَّ عَلَىٰ عَدَمِ التَّنَاقُضِ.

٢- أَنَّ الْعُلُوَّ لَا يُنَافِي الْمَعِيَّةَ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرُ مَعَنَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَعُدُّونَ مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ تَنَاقُضًا

٣- أَنَّ كَوْنَ اللهِ ﷻ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ حَقِيقَةً فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ، لِأَنَّ هَذَا جَائِزٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فَفِي حَقِّ الْخَالِقِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ، وَعَلَىٰ فَرْضِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ.(*).

وَلَيْسَ هُنَاكَ مُنَافَاةَ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ.

* لِأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

فَذَكَرَ اسْتِوَاءَهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَفِي الِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْعُلُوِّ الذَّاتِيِّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، كَمَا لَهُ عُلُوُّ الشَّأْنِ، كَمَا لَهُ عُلُوُّ الْقَهْرِ ﷻ

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ بَعْدُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾؛ فَذَكَرَ الْعُلُوَّ وَالْعُلُوُّ مِنْ صِفَاتِهِ ﷻ وَذَكَرَ الْمَعِيَّةَ، فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ.

قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قَالَ: «هُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) ص٨٣-٨٤

(٢) «العلو» للذهبي: (ص ١٣٧، رقم ٣٦٩).

=

وَقَالَ مَعْدَانُ: «سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

قَالَ: عِلْمُهُ»(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ»(٢).

=

وأخرجه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد»: (ص ٣٥٣، رقم ١٦٩٨)، وحرب الكرماني في «مسائله»: (٣/ ١١١١ - ١١١٢، رقم ١٧٧٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: (١/ ٣٠٤، رقم ٥٩٢)، والآجري في «الشريعة»: (٣/ ١٠٧٨ - ١٠٧٩، رقم ٦٥٥)، وابن بطة في «الإبانة»: (٧/ ١٥٢ - ١٥٣، رقم ١٠٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ٣٤١، رقم ٩٠٩)، من طريق: أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَل، بِإِسْنَادِهِ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، قَالَ: «هُوَ عَلَىٰ الْعَرْشُ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «هَذِهِ السُّنَّةُ».

والأثر حسن إسناده الألباني في «مختصر العلو»: (ص ١٣٨، تعليق ١٠٥)، ونقل ابن عبد البر في «التمهيد»: (٧/ ١٣٨ - ١٣٩) إجماع الصحابة والتابعين علىٰ ذلك، وقال: «وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ».

(١) «العلو»: (ص ١٣٧ - ١٣٨، رقم ٣٧١).

وأخرجه حرب الكرماني في «مسائله»: (٣/ ١١١٣، رقم ١٧٨٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧، رقم ٥٩٧)، ومن طريقه: اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: (٣/ ٤٤٥، رقم ٦٧٢)، بإسناد صحيح.

(٢) «العلو»: (ص ١٣٨، رقم ٣٧٢).

=

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُوسَىٰ الْقَطَّانُ -وَهُوَ شَيْخُ أَبِي بَكْرٍ الْخَلَّالِ-: «قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ -يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ-: اللهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ؟

قَالَ: نَعَمْ؛ هُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ»(١). هَذَا أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مُخْتَصَرِ الْعُلُوِّ».(*).

*وَاخْتَارَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الْوَاسِطِيَّةِ» وَفِي غَيْرِهَا أَنَّهَا عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، وَأَنَّ كَوْنَهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لَكِنْ لَيْسَتْ مَعِيَّتُهُ كَمَعِيَّةِ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي مَكَانِهِ؛ لِأَنَّ مَعِيَّةَ اللهِ ﷻ

=

وأخرجه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد»: (ص ٣٥٣، رقم ١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في «العلل»: (١/ ٥٣٠، رقم ١٢٤٨) و (٣/ ١٨٠، رقم ٤٧٨٣)، وفي «السنة»: (١/ ١٧٣ و ٢٨٠، رقم ٢١٣ و ٥٣٢)، ومن طريقه: اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: (٣/ ٤٤٥، رقم ٦٧٣)، وابن عبد البر في «الانتقاء»: (ص ٣٤ - ٣٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو»: (١٦٦، رقم ٧٦).

والأثر صحح إسناده الألباني في «مختصر العلو»: (ص ١٤٠، تعليق ١١٠).

(١) «العلو»: (ص ١٧٦، رقم ٤٧٤).

وأخرجه ابن بطة في «الإبانة»: (٧/ ١٥٩، رقم ١١٥)، واللالكائي في «شرح أصول لاعتقاد»: (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦، رقم ٦٧٤).

والأثر صحح إسناده الألباني في «مختصر العلو»: (ص ١٩٠، تعليق ١٩٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ) الْمُحَاضَرَةَ(١٥) الْأَرْبِعَاءَ ٧ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ٦/ ٢٠١٢م

ثَابِتَةٌ لَهُ وَهُوَ فِي عُلُوِّهِ؛ فَهُوَ مَعَنَا وَهُوَ عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُمْكِنُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا فِي الْأَمْكِنَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

فَلَيْسَ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ تَعَارُضٌ أَصْلًا؛ إِذْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ عَالِيًا وَهُوَ مَعَكَ، وَمِنْهُ مَا يَقُولُهُ الْعَرَبُ: الْقَمَرُ مَعَنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ، وَالشَّمْسُ مَعَنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ، وَالْقُطْبُ مَعَنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ، مَعَ أَنَّ الْقَمَرَ وَالشَّمْسَ وَالْقُطْبَ كُلَّهَا فِي السَّمَاءِ؛ فَإِذَا أَمْكَنَ اجْتِمَاعُ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ فِي الْمَخْلُوقِ، فَاجْتِمَاعُهُمَا فِي الْخَالِقِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ.(*).

❋ ❋ ❋

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ) الْمُحَاضَرَةَ(٣٨) الْأَرْبِعَاءَ ١٢ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ الْمُوَافِقَ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٧م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ

أَقْسَامُ الْمَعِيَّةِ:

*مَعِيَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ لِخَلْقِهِ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ

الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ الْمُطْلَقَةُ: هِيَ الَّتِي تَشْمَلُ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَدَلِيلُهَا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]

وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ الْإِحَاطَةَ بِالْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَسَمْعًا وَبَصَرًا وَسُلْطَانًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا

وَتَكُونُ فِي سِيَاقِ التَّخْوِيفِ وَالْمُحَاسَبَةِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ الْمُرَاقَبَةِ.

وَهِيَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُحِيطًا بِالْخَلْقِ، عِلْمًا وَقُدْرَةً وَسُلْطَانًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا.(*).

*وَالْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) ص٨٤-٨٥

وَالشَّاهِدُ فِيهَا قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

وَهَذِهِ مِنَ الْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِحَاطَةَ بِالْخَلْقِ عِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَسُلْطَانًا، وَسَمْعًا، وَبَصَرًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

مَا مِنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ يَتَنَاجَيَانِ بِأَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ؛ إِلَّا وَاللهُ ﷻ مَعَهُمْ.

وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ عَامَّةٌ؛ لِأَنَّهَا تَشْمَلُ كُلَّ أَحَدٍ: الْمُؤْمِنَ، وَالْكَافِرَ، وَالْبَرَّ، وَالْفَاجِرَ.. وَمُقْتَضَاهَا: الْإِحَاطَةُ بِهِمْ عِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَسَمْعًا، وَبَصَرًا، وَسُلْطَانًا، وَتَدْبِيرًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾؛ يَعْنِي: أَنَّ هَذِهِ الْمَعِيَّةَ تَقْتَضِي إِحْصَاءَ مَا عَمِلُوهُ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَبَّأَهُمْ بِمَا عَمِلُوا؛ يَعْنِي: أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَحَاسَبَهُمْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْبَاءِ لَازِمُهُ، وَهُوَ الْمُحَاسَبَةُ، لَكِنْ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْصِي أَعْمَالَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَوْجُودٍ أَوْ مَعْدُومٍ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ٩٦، رقم ٢٤٤١)، ومسلم: (٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

هَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَىٰ الْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ، وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ تَقْتَضِي عِلْمَهُ -تَعَالَىٰ- وَاطِّلَاعَهُ وَمُرَاقَبَتَهُ لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ.(*).

*الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ قِسْمَانِ: مُقَيَّدَةٌ بِوَصْفٍ وَمُقَيَّدَةٌ بِشَخْصٍ

وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ وَالْحِفْظَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْحِمَايَةَ مِنَ الْمَهَالِكِ مَعَ مَا تَسْتَلْزِمُهُ الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ

وَالْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ مُرَتَّبَةٌ عَلَىٰ الِاتِّصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَهِيَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا

١-الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الْمُقَيَّدَةُ بِوَصْفٍ: كَقَوْلِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].(*/٢).

* وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ) الْمُحَاضَرَةِ(٣٨) الْأَرْبِعَاءَ ١٢ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ الْمُوَافِقَ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٧م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) ص٨٥

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي أَوْ قَالَ: إِذَا ذَكَرَنِي**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلَّقًا مَجْزُومًا بِهِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ مَوْصُولًا، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ(٢)

هَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ مُقْتَضِيَةٌ لِلنَّصْرِ، وَالتَّأْيِيدِ، وَالْحِفْظِ، وَالْعِنَايَةِ، وَالْكَلَاءَةِ، وَالرِّعَايَةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالتَّوْفِيقِ، وَالْكِفَايَةِ، وَالْقُرْبِ، وَالتَّسْدِيدِ، وَالْهِدَايَةِ.. فَهَذَا مَا تَقْتَضِيهِ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مَا تَقْتَضِيهِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ دَاعِيهِ، وَقَرِيبٌ مِنْ عَابِدِهِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا**

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/ ٣٨٤، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم: (٤/ ٢٠٦١ و ٢٠٦٧، رقم ٢٦٧٥).

(٢) ذكره البخاري معلقا مجزوما به: (١٣/ ٤٩٩)، وأخرجه موصولا: ابن ماجه: (٢/ ١٢٤٦، رقم ٣٧٩٢).

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ٢٠٣، رقم ١٤٩٠)، وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر: (٥/ ٣٦٢ - ٣٦٤).

تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مُجِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

هَذَا قُرْبٌ خَاصٌّ بِالداعي دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَالثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ.

وَهُوَ الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بالد ... داعي وَعَابِدِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»(٢).(*).

٢-الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الْمُقَيَّدَةُ بِشَخْصٍ: كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].(*/٢).

---

(١) «صحيح البخاري»: (٦/ ١٣٥ رقم ٢٩٩٢)، و «صحيح مسلم»: (٤/ ٢٠٧٦ - ٢٠٧٧ رقم ٢٧٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود: (٢/ ٢٥، رقم ١٢٧٧)، والترمذي: (٥/ ٥٦٩، رقم ٣٥٧٩)، والنسائي: (١/ ٢٧٩، رقم ٥٧٢).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٤٠١، رقم ٦٢٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ) الْمُحَاضَرَةِ(١٥) الْأَرْبِعَاءَ ٧ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِق ٢٧/ ٦/ ٢٠١٢م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)ص٨٥

*﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ فَلَا حَزَنَ مَعَ اللهِ أَبَدًا.

فَدَلَّ أَنَّهُ لَا حَزَنَ مَعَ اللهِ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ فَمَا لَهُ وَلِلْحَزَنِ!!

وَالْفَرَحُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ تَبَعٌ لِلْفَرَحِ بِهِ ﷻ، فَالْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِرَبِّهِ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يَفْرَحُ بِهِ؛ مِنْ حَبِيبٍ، أَوْ حَيَاةٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ نِعْمَةٍ، أَوْ مُلْكٍ.

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ بِرَبِّهِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلَا يَنَالُ الْقَلْبُ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ حَتَّىٰ يَجِدَ طَعْمَ هَذِهِ الْفَرْحَةِ وَالْبَهْجَةِ، فَيَظْهَرُ سُرُورُهَا فِي قَلْبِهِ، وَنَضْرَتُهَا فِي وَجْهِهِ، فَيَصِيرُ لَهُ حَالٌ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ حَيْثُ لَقَّاهُمُ اللهُ ﷻ نَضْرَةً وَسُرُورًا.

فَلِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.(*).

*وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]

فَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ مُقَيَّدَةٌ بِشَخْصٍ.(*/٢).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(لَا تَحْزَنْ) الْجُمُعَةَ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ١٢/ ٢٠١١م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) ص٨٥

نَمَاذِجُ مِنْ مَعِيَّةِ اللهِ الْخَاصَّةِ مَعَ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ:

* النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا حَزِنَ وَاشْتَدَّ قَلَقُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ بِعَوْنِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾؛ أَيِ: الثَّبَاتَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، وَالسُّكُونَ الْمُثَبِّتَ لِلْفُؤَادِ، وَلِهَذَا لَمَّا قَلِقَ صَاحِبُهُ سَكَّنَهُ وَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

هَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ -يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ- كَمَا أَنَّهُ مَعَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَىٰ بَابِ الْغَارِ وَكَانُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ حَيْثُ الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ.

فَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ هَاهُنَا الْمَعِيَّةَ الْعَامَّةَ مَا أَفَادَ هَذَا شَيْئًا، وَتَعَالَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ.

إِذَنْ؛ هَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، شَيْءٌ فَوْقَ الْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ) الْمُحَاضَرَةَ(١٥) الْأَرْبِعَاءَ ٧ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ٦/ ٢٠١٢م

*«الْخِطَابُ لِأَبِي بَكْرٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

أَوَّلًا: نَصَرَهُ حِينَ الْإِخْرَاجِ؛ ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

ثَانِيًا: وَعِنْدَ الْمُكْثِ فِي الْغَارِ؛ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾.

ثَالِثًا: عِنْدَ الشِّدَّةِ حِينَمَا وَقَفَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ فَمِ الْغَارِ؛ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ مَوَاقِعَ بَيَّنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِيهَا نَصْرَهُ لِنَبِيِّهِ.

وَهَذَا الثَّالِثُ حِينَ وَقَفَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ؛ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ قَدَمِهِ لَأَبْصَرَنَا».

يَعْنِي: إِنَّنَا عَلَىٰ خَطَرٍ! كَقَوْلِ أَصْحَابِ مُوسَىٰ لَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ الْبَحْرِ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، وَهُنَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. فَطَمْأَنَهُ وَأَدْخَلَ الْأَمْنَ فِي نَفْسِهِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.. نَهْيٌ يَشْمَلُ الْهَمَّ مِمَّا وَقَعَ وَمَا سَيَقَعُ؛ فَهُوَ صَالِحٌ لِلْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ.

---

(١) أخرج البخاري: (٧/ ٨ - ٩، رقم ٣٦٥٣)، ومسلم: (٤/ ١٨٥٤، رقم ٢٣٨١)، من حديث: أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

وَالْحُزْنُ: تَأَلُّمُ النَّفْسِ وَشِدَّةُ هَمِّهَا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ خَاصَّةٌ، مُقَيَّدَةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَتَقْتَضِي مَعَ الْإِحَاطَةِ الَّتِي هِيَ الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ: النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ.

وَلِهَذَا وَقَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ الْغَارِ وَلَمْ يُبْصِرُوهُمَا! أَعْمَىٰ اللهُ أَبْصَارَهُمْ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ مَعِيَّةِ اللهِ الْخَاصَّةِ لِأَنْبِيَائِهِ وَرسله: مَعِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْخَاصَّةُ لِمُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

هَذَا الْخِطَابُ مُوَجَّهٌ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ، لَمَّا أَمَرَهُمَا اللهُ ﷻ أَنْ يَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ؛ قَالَ: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٣ - ٤٦].

فَقَوْلُهُ: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾.. جُمْلَةٌ اسْتِئْنَافِيَّةٌ لِبَيَانِ مُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ، وَهُوَ السَّمْعُ وَالرُّؤْيَةُ، وَهَذَا سَمْعٌ وَرُؤْيَةٌ خَاصَّانِ يَقْتَضِيَانِ النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ وَالْحِمَايَةَ مِنْ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَا عَنْهُ: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ مَعِيَّةُ اللهِ الْخَاصَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي جِهَادِهِمُ الْكَافِرِينَ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿كَم﴾: خَبَرِيَّةٌ تُفِيدُ التَّكْثِيرَ؛ يَعْنِي: فِئَةٌ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً عِدَّةَ مَرَّاتٍ، أَوْ فِئَاتٌ قَلِيلَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ غَلَبَتْ فِئَاتٍ كَثِيرَةً مُتَعَدِّدَةً، لَكِنْ لَا بِحَوْلِهِمْ وَلَا بِقُوَّتِهِمْ، بَلْ بِإِذْنِ اللهِ؛ أَيْ: بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَصْحَابُ طَالُوتَ؛ غَلَبُوا عَدُوَّهُمْ وَكَانُوا كَثِيرِينَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَصْحَابُ بَدْرٍ؛ خَرَجُوا لِغَيْرِ قِتَالٍ، بَلْ لِأَخْذِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبُو سُفْيَانَ لَمَّا عَلِمَ بِهِمْ أَرْسَلَ صَارِخًا إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُ: أَنْقِذُوا عِيرَكُمْ؛ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ خَرَجُوا إِلَيْنَا يُرِيدُونَ أَخْذَ الْعِيرِ!

وَالْعِيرُ فِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ لِقُرَيْشٍ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِأَشْرَافِهَا وَأَعْيَانِهَا وَخُيَلَائِهَا وَبَطَرِهَا، يُظْهِرُونَ الْقُوَّةَ وَالْفَخْرَ وَالْعِزَّةَ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَقْدَمَ بَدْرًا فَنُقِيمَ فِيهَا ثَلَاثًا؛ نَنْحَرُ الْجَزُورَ، وَنَسْقِي الْخُمُورَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ.. فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا».

فَالْحَمْدُ للهِ.. غَنَّوْا عَلَىٰ قَتْلِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ!!

كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَا بَيْنَ تِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ، كُلَّ يَوْمٍ يَنْحَرُونَ مِنَ الْإِبِلِ تِسْعًا إِلَىٰ عَشْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا وَفَرَسَانِ فَقَطْ يَتَعَاقَبُونَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ قَتَلُوا الصَّنَادِيدَ الْعُظَمَاءَ لِقُرَيْشٍ حَتَّىٰ جَيَّفُوا وَانْتَفَخُوا مِنَ الشَّمْسِ، وَسُحِبُوا إِلَىٰ قَلِيبٍ مِنْ قُلُبِ بَدْرٍ خَبِيثَةٍ.

فَـ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لِأَنَّ الْفِئَةَ الْقَلِيلَةَ صَبَرَتْ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ صَبَرَتْ كُلَّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ؛ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَعَلَىٰ مَا أَصَابَهَا مِنَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الْجِهَادِ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾»[1]. (*).

---

(١) شرح «العقيدة الواسطية» ضمن مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين: (٨/ ٣٤٠ - ٣٥٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ) الْمُحَاضَرَةَ(٣٨) الْأَرْبِعَاءَ ١٢ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ الْمُوَافِقَ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٧م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ مَعِيَّةِ اللهِ لِأَوْلِيَائِهِ: تَبْرِئَتُهُ ﷻ عَائِشَةَ رضي الله عنها مِمَّا اتَّهَمَهَا بِهِ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ:

* فَفِي تَارِيخِ الْمُسلِمِينَ، بَلْ وَفِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا ثِقَلُهَا الكَبِيرُ، وَآثَارُهَا الحَمِيدَةُ فِي نَتَائِجِهَا؛ وَهِيَ حَادِثَةُ الْإِفْكِ.

وَلَسْنَا مُبَالِغِينَ حِينَ نَقُولُ إِنَّ مَا وَاجَهَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، هُوَ حَدَثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِهِ ﷺ فَلَمْ يُمْكَرْ بِالْمُسْلِمِينَ مَكْرٌ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ.

وَهِيَ مُجَرَّدُ فِرْيَةٍ وَإِشَاعَةٍ مُخْتَلَقَةٍ بَيَّنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- كَذِبَهَا، لَكِنَّهَا لَوْلَا عِنَايَةُ اللهِ كَانَتْ قَادِرَةً عَلَىٰ أَنْ تَعْصِفَ بِالْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَلَا تُبْقِي عَلَىٰ نَفْسٍ مُسْتَقِرَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

وَلَقَدْ مَكَثَ مُجتَمَعُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأَكْمَلِهِ شَهْرًا كَامِلًا وَهُوَ يَصْطَلِي نَارَ تِلْكَ الْفِرْيَةِ، وَيَتَعَذَّبُ ضَمِيرُهُ، وَتَعْصُرُهُ الْإِشَاعَةُ الْهَوْجَاءُ وَالْفِرْيَةُ الصَّلْعَاءُ، حَتَّىٰ نَزَلَ الْوَحْيُ؛ لِيَضَعَ حَدًّا لِتِلْكَ الْمَأْسَاةِ الْمُفْظِعَةِ، وَلِيَكُونَ دَرْسًا تَرْبَوِيًّا رَائِعًا لِلْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَلِكُلِّ مُجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(حَرْبُ الشَّائِعَاتِ) الْجُمُعَةَ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٩/ ٤/ ٢٠١٦م

أَسْبَابُ تَحْصِيلِ مَعِيَّةِ اللهِ ﷻ الْخَاصَّةِ:

إِنَّ الْعَبْدَ يُمْكِنُ أَنْ يُحَصِّلَ مَعِيَّةَ اللهِ الْخَاصَّةَ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَحِمَايَتِهِ بِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ:

* مَا مِنْ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ إِلَّا وَهُوَ عَابِدٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فَإِنَّهُمَا لِلتَّكْلِيفِ يَعْبُدُ الطَّائِعُ مِنْهُمْ رَبَّهُ مُؤْمِنًا بِهِ مُوَحِّدًا لَهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ وَيَكْفُرُ مَنْ يَكْفُرُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَيَحِيدُ مَنْ يَحِيدُ مِنْهُمْ عَنْ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لِلْإِنْسِ وَلِلْجِنِّ مَشِيئَةً تَحْتَ الْمَشِيئَةِ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩]

وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ اخْتِيَارًا فَمَنْ آمَنَ، آمَنَ اخْتِيَارًا وَطَوَاعِيَةً وإِقْبَالًا عَلَىٰ اللهِ وَالْعُبُودِيَّةِ الْعَامَّةِ تَشْمَلُهُ فَهُوَ عَابِدٌ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ عَبْدٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ مُسَخَّرٌ يُؤْتِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ وَيَسْلُبُهَا مِنْهُ اللهُ مَتَىٰ شَاءَ وَقْتَمَا يَشَاءُ كَيْفَمَا شَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِبَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا وَإِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ مُسَخَّرٌ مُعَبَّدٌ مُذَلَّلٌ، فَهُوَ عَبْدٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا يُرِيدُهُ عَبْدًا بِالِاعْتِبَارِ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَحْضِ الِاخْتِيَارِ أَنْ يَكُونَ آتِيًا بِالْعُبُودِيَّةِ بِكَمَالِ الذُّلِّ فِي كَمَالِ الْحُبِّ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ يَكُونَ طَائِعًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَخَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْخَلْقَ الْمُتَفَرِّدَ كَمَا خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْجِنَّ لِتِلْكَ الْغَايَةِ وَحْدَهَا وَهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أُسْلُوبُ الْحَصْرِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

وَالْعُبُودِيَّةُ تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ وَتَشْمَلُ قَصْدَ الْحَيَاةِ وَتَشْمَلُ إِرْسَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْزَالَ الْكُتُبِ وَتَشْمَلُ الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ فَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ.

فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَا أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَّا جَاءَ بِهَذَا الْأَمْرِ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٦٥]

قَالَهَا نُوحٌ لِقَوْمِهِ وَقَالَهَا هُودٌ وَقَالَهَا صَالِحٌ وَقَالَهَا شُعَيْبٌ وَقَالَهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ﷺ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٦٥]

وَهَذَا هُوَ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(١) هَذَا الْخَلْقُ مَخْلُوقٌ لِغَايَةٍ لَيْسَ عَبَثًا لِأَنَّ الَّذِي أَحْكَمَ الْإِنْسَانَ هَذَا

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٦٣ و ٣٤١)، بإسناد صحيح، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، قَالَ:
سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ [وفي رواية: فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ]، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ [وفي رواية: وَأَبُو لَهَبٍ].
=

الْإِحْكَامَ وَالَّذِي بَنَاهُ هَذَا الْبِنَاءَ وَالَّذِي جَعَلَهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ مِنَ التَّرْكِيبِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا وَالْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِ غَايَةٍ وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

وَقَدْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ لِوَظِيفَةٍ بِعَيْنِهَا وَمُعْظَمُ مَا يَقَعُ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ غِيَابِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ عَنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَعَدَمِ تَوَهُّجِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَفِي ضَمِيرِهِ وَفِي ذَاتِهِ وَفِي وُجُودِهِ وَفِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِ

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا انْفَكَّ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَحْظَةً وَاحِدَةً يَصِيرُ مَاذَا؟ يَصِيرُ سَيِّدًا أَمْ يَصِيرُ لَا شَيْءَ أَمْ يَصِيرُ عَدَمًا يَصِيرُ مَاذَا؟ يَصِيرُ لِنَفْسِهِ عَابِدًا وَمُتَّخِذًا مِنْ ذَاتِهِ صَنَمًا مَعْبُودًا يَصِيرُ مَاذَا؟ إِذَا لَمْ يُحَقِّقِ الْغَايَةَ وَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْوَظِيفَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ يَصِيرُ مَاذَا؟ يَصِيرُ كَمًّا مُهْمَلًا يَصِيرُ شَيْئًا لَا قِيمَةَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ خُلِقَ لِغَيْرِ شَيْءٍ حَاشَا وَكَلَّا.

إِذَا غَابَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الْإِنْسَانِ فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ بَلْ هُوَ أَعْظَمُهَا أَنْ تَغِيبَ حَقِيقَةُ كَوْنِ الْمَرْءِ للهِ عَبْدًا وَعَابِدًا أَمَّا أَنَّهُ عَبْدٌ فَهُوَ عَبْدٌ مَقْهُورٌ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ مُذَلَّلٌ سَوَاءٌ عَلِمَ ذَلِكَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْهُ وَلَكِنْ هُوَ يَسْتَوِي فِي هَذِهِ الْبَابَةِ مَعَ الْكَافِرِ فَإِنَّ الْعُبُودِيَّةَ الْعَامَّةَ يَسْتَوِي فِيهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالطَّائِعُ وَالْعَاصِي الْكُلُّ يَسْتَوِي فِي عُبُودِيَّةِ الْعَامَّةِ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ سَيْفِ الْقَهْرِ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَلَّا يَكُونَ مُذَلَّلًا للهِ مَقْهُورًا مَرْبُوبًا مَنْ يَسْتَطِيعُ؟

=

والحديث جود إسناده الألباني في هامش «صحيح السنة النبوية»: (ص ١٤٢ - ١٤٣)، وله شاهد من رواية طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رضي الله عنه.

لَا أَحَدَ حَتَّىٰ إِبْلِيسُ فَهُوَ عَبْدٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ لِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ مُسَخَّرٌ فَهَذَا هُوَ الْإِطَارُ الْعَامُّ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي إِطَارِ الْعُبُودِيَّةِ الْعَامَّةِ لَا تَخْرُجُ عَنْهُ بِحَالٍ وَمَا لِهَذَا وَحْدَهُ خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَحْنُ عَبِيدُهُ هَذَا لَا خِلَافَ عَلَيْهِ الْكُلُّ عَبِيدُهُ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَرَادَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِبَادًا لَهُ وَحْدَهُ بِمَعْنَىٰ الْعُبُودِيَّةِ الْخَاصَّةِ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَبَيَّنَ الطَّرِيقَ وَوَضَّحَ الْمَحَجَّةَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ وَبَيَّنَ السَّبِيلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْبَلَ النَّاسُ لَمَّا اخْتَارُوا مَا اخْتَارُوا فِي أَمْرِ التَّكْلِيفِ فَصَارُوا مُخَيَّرِينَ فِي أَنْ يُطِيعُوا وَأَنْ يَعْصُوا فِي أَنْ يَقْبَلُوا وَأَنْ يَدَّبَّرُوا فِي أَنْ يُؤْمِنُوا وَأَنْ يَكْفُرُوا

بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ ذَلِكَ وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَوَضَّحَ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ حَتَّىٰ لَا يَقُومَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ رَبِّهِ حُجَّةٌ انْقَطَعَتِ الْأَعْذَارُ وَفَنِيَتْ الْحُجَجُ وَصَارَ الْمَرْءُ مَحْجُوجًا لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللهُ وَتِلْكَ الْعُبُودِيَّةُ الْخَاصَّةُ هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَنَا هَذَا الْخَلْقَ الْمُتَفَرِّدَ مِمَّا عَرَفْنَا بَعْضَهُ وغَابَ عَنَّا أَكْثَرُهُ وَمَا عَرَفْنَاهُ فِيمَا لَمْ نَعْرِفْهُ كَالْهَبَاءَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا شَيْءَ؟!

وَإِنَّمَا الْعِلْمُ للهِ وَحْدَهُ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَكْشِفُ لِخَلْقِهِ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ وَكَرِّ الدُّهُورِ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ مَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَقْتَرِبُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُعَدُّ شَيْئًا فِيمَا انْطَوَىٰ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَانْطَوَىٰ عَلَيْهِ الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ مِنْ أَسْرَارٍ وَمِنْ مُغَيَّبَاتٍ وَمِنْ عِلْمٍ فِي التَّرْكِيبِ وَالْإِفْرَادِ وَفِي الْغَايَةِ وَفِي الْوَسِيلَةِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ مِنْ أَجْلِ عِبَادَتِهِ جَلَّوَعَلَا بِأَنْ تُصْرَفَ جَمِيعُ أَنْشِطَةِ الْحَيَاةِ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تُوَظَّفَ جَمِيعُ الْمَلَكَاتِ وَالْقُدُرَاتِ الَّتِي آتَاهَا اللهُ الْكَائِنَ الْإِنْسَانِيَّ مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِبَادَةَ طَرِيقًا لَاحِبًا يَسْتَوْعِبُ نَشَاطَ الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَيِّ فَمَا مِنْ خَطْرَةٍ وَلَا خَاطِرَةٍ وَمَا مِنْ نَظْرَةٍ شَارِدَةٍ وَلَا عَابِرَةٍ وَمَا مِنْ خَلَجَةٍ بِعِرْقٍ فِي جَسَدِهِ وَمَا مِنْ نَبْضَةٍ بِقَلْبٍ فِي جَوْفِهِ وَمَا مِنْ أَمْرٍ كَانَ فِي جَسَدِهِ وَيَكُونُ إِلَّا وَهُوَ مُوَظَّفٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْغَايَةِ وَتَحْقِيقُ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ: صَلَاحُ الفَرْدِ صَلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ:

*فَإِنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْمُجْتَمَعِ إِلَّا بِصَلَاحِ أَفْرَادِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْفَرْدِ إِلَّا بِصَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِالوَحِي المَعْصُومِ، لَا صَلَاحَ لِلْفُؤَادِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الإِنْسَانَ خِلْقَةً مُتَفَرِدَةً، فَجَعَلَهُ مِنْ جَسَدٍ وَرُوحٍ، وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِكُلٍ غِذَاءَهُ، فَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ يَعْكِسَ ذَلِكَ وَأَنْ يُخَالِفَهُ، كَانَ سَبَبًا فِي إِفْسَادِ الجَسَدِ وَالرُّوحِ عَلَى السَّوَاءِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غِذَاءَ الجَسَدِ فِي الحُبُوبِ وَالبُقُولِ وَالفَوَاكِهِ وَاللُّحُومِ، وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غِذَاءَ القَلْبِ وَالرُّوحِ فِي الوَحْيِ المَعْصُومِ، فَإِذَا خَالَفَ الإِنسَانُ لِلْجَسَدِ غِذَاءَهُ، فَذَهَبَ يُقِيتُهُ بِالتُّرَابِ وَالحَطَبِ وَمَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(الْعُبُودِيَّةُ طَرِيقُ الْمُتَّقِينَ) الْجُمُعَةَ ٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٣٠/ ١/ ٢٠٠٩م

أَشْبَه، أَفْسَدَهُ وَأَهْلَكَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا خَالَفَ غِذَاءَ القَلْبِ وَالرُّوحِ، فَصَارَ إِلَىٰ غَيْرِ الوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، أَفْسَدَ القَلْبَ وَأَعْطَبَ الرُّوحَ، وَصَارَ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لِلْفَرْدِ قِيمَةً عَظِيمَةً فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فَإِذَا أَرَادَ النَّاسُ أَنْ يُصْلِحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَحْوَالَهُمْ، فَلْيُصْلِحْ كُلٌّ نَفْسَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَسْتَهِينُ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَيَحْسَبُ أَنَّ فَسَادَهُ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ شَيْئًا، لِأَنَّهُ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ، وَيَحْسَبُ أَنَّ طُغْيَانَهُ وَفَسَادَهُ لَا يَصُبُّ فِي النِّهَايَةِ فِي رَافِدٍ عَظِيمٍ، يَصُبُّ فِي الْمُنْتَهَىٰ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي الْمُجْتَمَعِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَحْكُومًا بِكِتَابِهِ، مَشْمُولًا بِرِعَايَةِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ بِالْمِثَالِ الْعَمَلِيِّ، فَاسْمَعْ حِكَايَةَ مَلِكٍ قَدِيمٍ، أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ حَوْضًا مَمْلُوءًا لَبَنًا، فَأَعْلَنَ فِي مَمْلَكَتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ حَوْضَهُ لَبَنًا خَالِصًا صَرِيحًا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَارَكَ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَجْزِيهِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ جَزِيلِ الْعَطِيَّةِ وَكَرِيمِ الْمَثُوبَةِ.

وَاجْتَمَعَ اللبَّانُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَوَزَّعُوا الْأَعْمَالَ، وَصَارَ لِكُلٍّ حِصَّةٌ، فَمِنْ مُقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ، وَأَتَىٰ الشَّيْطَانُ وَاحِدَهُمْ لَيْلًا فَقَالَ: وَمَا يَبْلُغُ دَلْوُكَ فِي الدِّلَاءِ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَ بِمَلْئِهِ مَاءً، فَإِنَّ ذَلِكَ حِينَئِذٍ لَا تُكَلَّفُ بِهِ عَنَاءً وَلَا يُؤَثِّرُ فِي مَجْمُوعِ اللَّبَنِ فِي الْحَوْضِ شَيْئًا، فعَزَمَ ثُمَّ نَفَّذَ.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ بِخُبْثِهِ وَرِجْسِهِ قَدْ أَتَاهُمْ جَمِيعًا بِالْفِكْرَةِ ذَاتِهَا، وَأَلْقَىٰ فِي أَنْفُسِهِمْ الْإِلْقَاءَ عَيْنَهُ، وَكُلٌّ يَحْسَبُ أَنَّ فِعْلَهُ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ فِي

الْمَجْمُوعِ شَيْئًا، فَلَمَّا اجْتَمَعَ فَسَادُهُمْ مَعًا صَارُوا إِلَىٰ فَسَادٍ مُحَقَّقٍ، فَأَصْبَحَ الْمَلِكُ صُبْحًا، وَإِذَا الْحَوْضُ مَمْلُوءٌ مَاءً لَا لَبَنًا، أَسَاءَ فَرْدٌ ثُمَّ أَسَاءَ آخَرُ فَأَسَاءَ مَجْمُوعٌ وَفَسَدَ مُجْتَمَعٌ.

النَّبِيُّ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لَهُمْ إِلَّا بِتَوْحِيدِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، فَإِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ إِصْلَاحٌ لِلْمُجْتَمَعِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَإِذَا صَلَحَ هَذَا الْأَصْلُ، صَلَحَتْ جَمِيعُ فُرُوعِهِ، وَاسْتَقَامَتْ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ.(*).

*أَهَمُّ شَيْءٍ تَحْرِصُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ عَقِيدَتَكَ،أَنْ تَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّكَ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَىٰ الِاعْتِقَادِ، الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عِبَادَةٌ، الْمُنْفِقُ، الْمُتَصَدِّقُ، الزَّاهِدُ، الْقَائِمُ، الصَّائِمُ الْمُعْتَمِرُ، الْحَاجُّ، حَتَّىٰ الْمُجَاهِدُ، إِذَا بَنَىٰ ذَلِكَ وَأَسَّسَهُ عَلَىٰ غَيْرِ عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَمَلُ.

هَلْ تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، كَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ وَلَا عِبَادَةٌ بِغَيْرِ تَوْحِيدٍ، لَا نَقُولُ هُوَ شَرْطُ صِحَّةٍ فِيهَا، بَلْ هُوَ أَصْلُهَا، وَأُسُّهَا، وَأَسَاسُهَا، فَمَهْمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ أُسِّسَ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ صَحِيحَةٍ بِعَقِيدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ عَمَلٌ، مَهْمَا عَمِلْتَ، وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا يَزْدَادُونَ بِهِ عَنِ اللهِ إِلَّا بُعْدًا، لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ وَكَانَ عَلَىٰ قَدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْمُوَحِّدُونَ) الْجُمُعَةَ ٣٠ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣١- الْمُوَافِقَ ١٤ / ٥ / ٢٠١٠م بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

لَابُدَّ أَنْ تَتَعَلَّمَ التَّوْحِيدَ، لَابُدَّ أَنْ تَتَعَلَّمَ مَا جَاءَ بِه الرَّسُولُ ﷺ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، لِمَاذَا؟

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا وَالصَّلَاةُ لَمْ تُفْرَضْ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ عَلىٰ النَّحْوِ الْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ أَنَّ فِي مَكَّةَ وَلَا جَمَاعَةٌ، لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ- مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ-، لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ قِتَالٌ، بَلْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِكَفِّ الْأَيْدِي.

الصِّيَامُ لَمْ يُفْرَضْ- صِيَامُ رَمَضَانَ- إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا الزَّكَاةُ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَعْرُوفِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، فَما كَانُوا يَمْلِكُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ عَلىٰ إِخْوَانِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

إِذَنْ، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَلَمْ يُفْرَضْ فِي مَكَّةَ حَجٌّ،وَلَا صَوْمٌ، وَلَا قِتَالٌ، وَالصَّلَاةُ تَأَخَّرَتْ للسَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ أَذَانٌ، وَلَا إِقَامَةٌ، وَلَا جَمَاعَةٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَكُلُّ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ طَبَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الْأُولَىٰ الْمُتَمَيِّزَةِ، هِيَ تَحْتَهَا وَدُونَهَا، لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا التَّوْحِيدَ.

مَاذَا كَانَ يُعَلِّمُهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

يُعَلِّمُهُمْ عِبَادَةَ الرَّبِّ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ، هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ مَا بَقِيَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الْأَصْلَ الْكَبِيرَ وَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ، تَوْحِيدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَأَيُّ بَدْءٍ فِي مَعْرِفَةِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ النُّقْطَةِ، هُوَ سَيْرٌ عَلَىٰ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، حَقِّقْ عَقِيدَتَكَ أَوَّلًا، حَتَّىٰ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَتَعْرِفَ دِينَكَ، وَتَعْرِفَ عَقِيدَتَكَ.

وَأَنَا أَقُولُ لَكَ: مَا أَكْثَرَ مَنْ رَأَيْنَاهُمْ مِنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُمْ جُهْدٌ كَبِيرٌ ظَاهِرٌ فِي مَسْأَلَةِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَإِذَا سَأَلْنَا الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا هِيَ عَقِيدَتُكَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا، إِذَا قُلْنَا لَهُ: مَا هِيَ عَقِيدَتُكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ وَصِفَاتِهِ؟ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا

أَهَمُّ شَيْءٍ اعْتِقَادُكَ، لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ مُشْرِكًا، لَنْ يَغْفِرَ لَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا عَقِيدَتَنَا وَدِينَنَا.(*).

تَحْصِيلُ التَّقْوَى:

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْعَلُنَا نُحَصِّلُ مَعِيَّةَ اللهِ الْخَاصَّةَ: تَقْوَى اللهِ

*إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَمَرَنَا بِالتَّقْوَىٰ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١].

فَوَصِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَنْ سَبَقَ هِيَ هِيَ وَصِيَّتُهُ تَعَالَىٰ لَنَا، أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَمَرَنَا ربُّنا جَلَّ وَعَلَا أَنْ نَتَّقِيَهُ حَقَّ تُقَاتِهِ: ﴿يَا يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وَحَقُّ تُقَاتِهِ: أَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ، وَأَنْ يُطَاعَ فلَا يُعْصَىٰ، وَأَنْ يُشْكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَلَا يُكْفَرَ، فَمَنْ أَتَىٰ بِذَلِكَ؛ فَقَدِ اتَّقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَأَمَّا تَقْوَاهُ جَلَّ وَعَلَا-:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ الْمُوَافِقَ ٢٠١١/٨/٧م

فَهُوَ أَنْ تَأْخُذَ عَامِلًا بِطَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَرْجُو رِضْوَانَ اللهِ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ مَعْصِيَةَ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَخَافُ عَذَابَ اللهِ، فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ بِالْأَوَامِرِ وَاجْتَنَبَ بِالنَّوَاهِي؛ فَهُوَ الْمُتَّقِي للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.(*).

وَمِنْهَا: تَحْقِيقُ التَّوَكُّلِ:

وَقَدْ كَانَ مِنْ دَأْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُتَوَكِّلِينَ يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَلْبُهُ تَوَكُّلًا مُطْلَقًا، وَهُوَ آخِذٌ بِأَسْبَابِ هَذِهِ الْحَيَاة.(/٢).

التَّوَكُّلُ وَاجِبٌ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ:

*وَالتَّوَكُّلُ: اعْتِقَادٌ وَاعْتِمَادٌ وَعَمَلٌ وَهُوَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِ صِدْقِهِ وَهُوَ وَاجِبٌ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ.

وَالثَّانِي: تَوَكُّلُ السِّرِّ: بِأَنْ يَعْتَمِدَ عَلَىٰ مَيِّتٍ فِي جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذَا تَصَرُّفًا سَرِيًّا فِي الْكَوْنِ، فَيُعْطِيهِ قَدْرًا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الْغَيْرِ فِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْغَيْرُ مَعَ الشُّعُورِ بِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ وَانْحِطَاطِ مَرْتَبَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ مِثْلَ: أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ الْمَعَاشِ وَنَحْوِهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ لِقُوَّةِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) الْجُمُعَةَ ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِقَ ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ) مَنْشُورَةٌ بِتَارِيخِ ١٢/ ٩/ ٢٠٠٦م

فَأَمَّا اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنَّهُ سَبَبٌ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ ذَلِكَ وَأَجْرَاهُ عَلَىٰ يَدِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ، إِذَا كَانَ لِمَنْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ أَثَرٌ صَحِيحٌ فِي حُصُولِ ذَلِكَ.

التَّوَكُّلُ عِبَادَةٌ لَا تَجُوزُ إِلَّا للهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِلَّا عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

وَأَمَّا التَّوْكِيلُ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمَخْلُوقُ فَهُوَ جَائِزٌ وَالِاعْتِمَادُ عَلَىٰ السَّبَبِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ السَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْكَمَالُ أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَأَنْ تَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ، حِينَئِذٍ تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَتُحَقِّقُ الِاتِّبَاعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَأْتِي بِالْحُسْنَيَيْنِ، بِتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ الْمَجِيدِ، وَتَجْرِيدِ الْمُتَابَعَةِ لِلْمَعْصُومِ ﷺ

وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ: هُوَ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كِفَايَةً وَحَسْبًا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

وَقَوْلُهُ: وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا: لَا عَلَىٰ غَيْرِهِ، فَقَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ وَحَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الِاخْتِصَاصِ وَالْحَصْرِ وَالْقَصْرِ، تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ لَا عَلَىٰ غَيْرِهِ.

حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(شَرْحُ الْجَامِعِ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ) ص٣٣و٣٤ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ هُوَ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ:

* وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].(*).

وَمِنْهَا: تَحْقِيقُ الصَّبْرِ

*فَالدُّنْيَا وُضِعَتْ لِلْبَلَاءِ، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَن يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَأَن يَعْلَمَ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنَ الْمُرَادِ فَلُطْفٌ، وَمَا لَمْ يَحْصُلْ فَعَلَىٰ أَصْلِ الْخَلْقِ وَالْجِبِلَّةِ لِلدُّنْيَا، كَمَا قِيلَ

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ الْأَقْذَاءِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ

سُبُلُ الصَّبْرِ عَلَى الِابْتِلَاءِ

وَهَاهُنَا تَتَبَيَّنُ قُوَّةُ الْإِيمَانِ وَضَعْفُهُ، فَلْيَسْتَعْمِلِ الْمُؤْمِنُ مِنْ أَدْوِيَةِ هَذَا الْمَرَضِ التَّسْلِيمَ لِلْمَالِكِ وَالتَّحْكِيمَ لِحِكْمَتِهِ، وَلْيَقُلْ قَدْ قِيلَ لِسَيِّدِ الْكُلِّ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ) الْجُمُعَةَ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٦/ ٥/ ٢٠١٦م

ثُمَّ لِيُسَلِّ نَفْسَهُ بِأَنَّ الْمَنْعَ لَيْسَ عَنْ بُخْلٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَصْلَحَةٍ لَا يَعْلَمُهَا، وَلِيُؤْجَرَ الصَّابِرُ عَنْ أَغْرَاضِهِ، وَلْيَعْلَمَ اللهُ الَذِينَ سَلَّمُوا وَرَضُوا، وَأَنَّ زَمَنَ الِابْتِلَاءِ مِقْدَارٌ يَسِيرٌ، وَأَنَّ الْأَغْرَاضَ مُدَّخَرَةٌ تُلْقَىٰ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَكَأَنَّهُ بِالظُّلْمَةِ قَدِ انْجَلَتِ، وَبِفَجْرِ الْأَجْرِ قَدْ طَلَعَ

وَمَتَىٰ ارْتَقَىٰ فَهْمُهُ إِلَىٰ أَنَّ مَا جَرَىٰ مُرَادُ الْحَقِّ ﷻ اقْتَضَىٰ إِيمَانُهُ أَنْ يُرِيدَ مَا يُرِيدُ وَيَرْضَىٰ بِمَا يُقَدِّرُ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ خَارِجًا عَنْ حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَةِ فِي الْمَعْنَىٰ، وَهَذَا أَصْلٌ يَنْبَغِي أَن يُتَأَمَّلَ وَيُعْمَلَ بِهِ فِي كُلِّ غَرَضٍ انْعَكَسَ.(*).

❋ ❋ ❋

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: (دَوَاءُ الْكَرْبِ وَعِلَاجُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ) الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ/ ١٣-١٠-٢٠١٧م

أَثَرُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَعَنَا:

وَمِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ صِفَةُ الْمَعِيَّةِ أَنَّهُ:

*إِذَا آمَنْتُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَكَ يَعْلَمُكَ وَيُشَاهِدُكَ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِكَ، فَإِنَّهُ يَقْوَىٰ خَوْفُكَ مِنَ اللهِ ﷻ، حِينَئِذٍ يَتِمُّ لَكَ مُرَاقَبَةُ اللهِ ﷻ، لِأَنَّكَ لَوْ كُنْتَ فِي حُجْرَةٍ مُظْلِمَةٍ لَيْسَ عِنْدَكَ أَحَدٌ، تَقُولُ: اللهُ ﷻ مَعِي وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَتَخْشَاهُ وَتَخَافُهُ، وَلَا تَفْعَلُ شَيْئًا يُغْضِبُهُ.

فَإِذَا أَحْسَنْتَ وَاسْتَقَمْتَ وَكُنْتَ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَ الْمُحْسِنِينَ، بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَحِفْظِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَحِمَايَتِهِ لِعَبْدِهِ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالشُّرُورِ، وَنَصْرِهِ لَهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهَذَا كُلُّهُ رِضْوَانٌ مُعَجَّلٌ وَنَعِيمٌ عَظِيمٌ.(*).

*فَإِذَا آمَنَ بِأَنَّ اللهَ مَعَهُ؛ أَيْ هُوَ عَالِمٌ بِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ مُرَاقَبَةِ اللهِ، وَعَلَىٰ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَعَدَمِ ارْتِكَابِ شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِ، تَقُولُ لَهُ نَفْسُهُ وَيَقُولُ لَهُ قَلْبُهُ: كَيْفَ تَتَجَرَّأُ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ وَهُوَ مُرَاقِبٌ لَكَ وَلِأَعْمَالِكَ؟!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)ص٨٦

وَيَحْمِلُهُ هَذَا عَلَىٰ إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ وَعَدَمِ إِفْسَادِهَا، وَعَلَىٰ الْإِكْثَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْبُعْدِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، فَهَذِهِ فَائِدَةٌ مِنْ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِمَعِيَّةِ اللهِ الْعَامَّةِ.

إِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِمَعِيَّةِ اللهِ الْعَامَّةِ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مُرَاقِبُهُ، وَأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَالِمٌ بِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ مُرَاقَبَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَلَىٰ خَوْفِهِ، فَهَذِهِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْإِيمَانِ بِالْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَزَكَّىٰ عَبْدٌ نَفْسَهُ**».

فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ**» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ» وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»(١).

---

(١) ذكره أبو داود معلقا مختصرا: (٢/ ١٠٣، رقم ١٥٨٢)، وأخرجه موصولا: البخاري في «التاريخ الكبير»: (٥/ ٣١، ترجمة ٥٤)، والطبراني في «المعجم الصغير»: (١/ ٣٣٤، رقم ٥٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (٤/ ٩٦، رقم ٧٢٧٥).
والحديث صحح إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٣/ ٣٧ - ٣٨، رقم ١٠٤٦)، وقال: «قوله ﷺ: «أن الله معه حيث كان»، قال الإمام محمد بن يحيىٰ الذهلي: «يريد أن الله علمه محيط بكل مكان والله علىٰ العرش»،....
وأما قول العامة وكثير من الخاصة: الله موجود في كل مكان، أو في كل الوجود، ويعنون =

فَحَصَلَتِ التَّزْكِيَةُ بِالْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْمَعِيَّةِ، وَأَيُّ تَزْكِيَةٍ أَعْظَمُ مِنْهَا؟!!

هَذِهِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ، «**وَزَكَّىٰ عَبْدٌ نَفْسَهُ؛ أَيْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ**».(*).

الْإِيمَانُ بِمَعِيَّةِ اللهِ الْعَامَّةِ يُثْمِرُ الْخَوْفَ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:

*وَقَدْ أَثْنَىٰ ﷻ عَلَىٰ أَقْرَبِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ بِالْخَوْفِ مِنْهُ؛ فَقَالَ عَنْ أَنْبِيَائِهِ بَعْدَ أَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فَالرَّغَبُ: الرَّجَاءُ وَالرَّغْبَةُ.

وَالرَّهَبُ: الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ.

وَقَالَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ قَدْ أَمَّنَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩**﴾ [النحل: ٥٠].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**»

=

بذاته، فهو ضلال، بل هو مأخوذ من القول بوحدة الوجود الذي يقول به غلاة الصوفية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق، ويقول كبيرهم: كل ما تراه بعينك فهو الله!! تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ) الْمُحَاضَرَةِ(١٥) الْأَرْبِعَاءَ ٧ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢٧/ ٦/ ٢٠١٢م

(٢) البخاري (٢٠)، ومسلم (١١١٠)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها، ولفظ البخاري: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا».

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**إِنِّي أَخْوَفُكُمْ للهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا أَتَّقِي**»

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ بِاللهِ أَعْلَمَ كَانَ لَهُ أَخْوَفَ؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه «وَكَفَىٰ بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا»(١)

وَنُقْصَانُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ إِنَّمَا هُوَ لِنُقْصَانِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِهِ، فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللهِ أَخْشَاهُمْ لَهُ، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ اشْتَدَّ حَيَاؤُهُ مِنْهُ وَخَوْفُهُ لَهُ وَحُبُّهُ لَهُ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ مَعْرِفَةً ازْدَادَ حَيَاءً وَخَوْفًا وَحُبًّا.

فَالْخَوْفُ مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَخَوْفُ الْخَاصَّةِ أَعْظَمُ مِنْ خَوْفِ الْعَامَّةِ، وَهُمْ إِلَيْهِ أَحْوَجُ، وَهُمْ بِهِ أَلْيَقُ، وَهُمْ لَهُ أَلْزَمُ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِيمًا أَوْ مَائِلًا عَنْ الِاسْتِقَامَةِ، فَإِنْ كَانَ مَائِلًا عَنْ الِاسْتِقَامَةِ فَخَوْفُهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَيْلِهِ، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَذَا الْخَوْفِ.

وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- يَكُونُ مَحْمُودًا، وَيَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ.

الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ: مَا كَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ.

الْخَوْفُ مِنَ اللهِ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ بِحَيْثُ يَحْمِلُكَ عَلَىٰ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ فَهَذَا خَوْفٌ مِنَ اللهِ مَحْمُودٌ، فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٦)، وابن أبي شيبة (٣٤٥٣٢)، وأحمد في «الزهد» (٨٦٤)، وأبو داود في «الزهد» (١٦٨)، والطبراني (٨٩٢٧).

الْغَايَةُ سَكَنَ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْفَرَحُ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَالرَّجَاءُ لِثَوَابِهِ؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فَهَذَا هُوَ الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

وَأَمَّا الْخَوْفُ غَيْرُ الْمَحْمُودِ: فَهُوَ مَا يَحْمِلُ الْعَبْدَ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ الْعَبْدُ وَيَنْكَمِشُ، وَيَتَمَادَىٰ فِي الْمَعْصِيَةِ بِقُوَّةِ يَأْسِهِ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فَالْخَوْفُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَىٰ الْيَأْسِ لَيْسَ مَحْمُودًا.(*).

*فإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ طَالِبًا مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ، وَهُوَ يَطْلُبُ مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ وَلَمْ يُحَصِّلْهُ، وَلَا يَخَافُ رَبَّهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ.

هَذَا تَبْقَىٰ نَفْسُهُ طَالِبَةً لِمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِهِ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ عَنْهَا، وَلَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ مَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَبِهِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ حِينَئِذٍ مِنْ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ، وَشُرْبِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا

الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَخَفْ رَبَّهُ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَمَّا إِذَا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ نَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ؛ كَمَا قَالَ اللهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (مَقَامَاتُ الْخَائِفِينَ وَالصَّائِمِينَ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ٦/ ٢٠١٦م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ) الْمُحَاضَرَةِ(٥) السَّبْتَ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٨م

مُقْتَضَيَاتُ الْمَعِيَّةِ وَمُسْتَلْزَمَاتُهَا:

*إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوالَهُمْ وَيَرَىٰ أَفْعَالَهُمْ وَيُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ، يَرْزُقُ الْفَقِيرَ وَيَجْبُرُ الْكَسِيرَ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ كَانَ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً، وَإِنْ كَانَ فَوْقَهُمْ عَلَىٰ عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَلَا مَانِعَ وَلَيْسَ فِي هَذَا تَنَاقُضٌ، وَلَا أَيُّ وَصْفٍ لَا يَلِيقُ بِاللهِ.

بَلِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ الْمَعِيَّةَ الِاخْتِلَاطُ وَالْحُلُولُ فِي الْمَكَانِ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ، وَلِهَذَا لَمَّا ظَهَرَ هَذَا الْقَوْلُ الْمُبْتَدَعُ الضَّالُّ صَارَ السَّلَفُ يَقُولُونَ، هُوَ مَعَنَا بِعِلْمِهِ، فَفَسَّرُوا الْمَعِيَّةَ بِلَازِمِهَا وَهُوَ الْعِلْمُ، عَلَىٰ أَنَّ لَازِمَ الْمَعِيَّةِ لَيْسَ الْعِلْمَ فَقَطْ، بَلْ هُوَ مَعَنَا بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ.

بَيَانُ كُفْرِ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الْحُلُولِيَّةِ:

وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْحُلُولِيَّةُ[1]، مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: إِنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ، فَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ حَالٌّ مَعَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ

(١) حلول الشيء في الشيء: عبارة عن نزوله فيه، بحيث يكون الإشارة إلىٰ أحدهما عين الإشارة إلىٰ الآخر، والحلول عند الروافض والصوفية: «أن الله يحل بمعاني الربوبية في

وَنَرَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ،حَسَبَمَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ فَهُوَ كَافِرٌ: إِذَا بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ عَلَىٰ اللهِ وَنَقْصٌ فِي حَقِّهِ

أَوْ ضَالٌّ: إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَصَفَ اللهَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مُقْتَضَىٰ الْمَعِيَّةِ عَامٌّ وَخَاصٌّ، فَإِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ بَيَانُ إِحَاطَةِ اللهِ ﷻ بِالْخَلْقِ، فَهِيَ مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ، وَتَكُونُ الْمَعِيَّةُ لِلتَّهْدِيدِ، وَالْمَقْصُودُ تَهْدِيدُ هَؤُلَاءِ وَوَعِيدُهُمْ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْهَا النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ، وَهَذِهِ قَدْ تُقَيَّدُ بِوَصْفٍ وَقَدْ تُقَيَّدُ بِشَخْصٍ، فَمَنْ كَانَ مُتَّقِيًا مُحْسِنًا كَانَ اللهُ مَعَهُ، وَمَنْ كَانَ صَابِرًا كَانَ اللهُ مَعَهُ، وَقَدْ تُقَيَّدُ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

الرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ قَالُوا بِالْحُلُولِ:

أَوَّلًا: قَوْلُهُمْ: إِنَّ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ.

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ: أَنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ لَيْسَ كَمَا ذَكَرُوا، إِذْ لَوْ كَانَ الظَّاهِرُ كَمَا ذَكَرُوا لَكَانَ فِي الْآيَةِ تَنَاقُضٌ(أَنْ يَكُونَ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ عَرْشِهِ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ) وَالتَّنَاقُضُ فِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ مُسْتَحِيلٌ

ثَانِيًا: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْمَعِيَّةَ لَا تُعْقَلُ إِلَّا مَعَ الْمُخَالَطَةِ أَوِ الْمُصَاحَبَةِ فِي الْمَكَانِ.

=

أجسام الأئمة والعارفين والأولياء، فيزيل عنها معاني البشرية»، فعبدوهم من أجل ذلك!!، والحلولية: عشر فرق كلها ترجع إلىٰ غلاة الرافضة.

انظر: «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٥٤ - ٢٦٦، الفرقة ١٣١)، و «الملل والنحل»: (١/ ١٧٣)، و «مجموع الفتاوىٰ»: (٢/ ١٧١ - ١٧٢)، و «معجم مصطلحات الصوفية»: (ص ٨٢).

وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ: هَذَا مَرْدُودٌ، فَالْمَعِيَّةُ فِي اللُّغَةِ: اسْمٌ لِمُطْلَقِ الْمُصَاحَبَةِ وَقَدْ تَقْتَضِي الِاخْتِلَاطَ، وَقَدْ تَقْتَضِي الْمُصَاحَبَةَ فِي الْمَكَانِ وَقَدْ لَا تَقْتَضِي الِاخْتِلَاطَ وَلَا الْمُشَارَكَةَ فِي الْمَكَانِ، مِثْلَ: الْقَائِدِ مَعَ جُنُودِهِ وَإِنْ كَانَ فِي غُرْفَةِ الْقِيَادَةِ، لَكِنْ يُوَجِّهُهُمْ، فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَاطٌ وَلَا مُشَارَكَةٌ فِي الْمَكَانِ.

ثَالِثًا: وَصْفُهُمُ اللهَ بِذَلِكَ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَشَدِّ التَّنَقُّصِ للهِ ﷻ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ مُتَمَدِّحًا، أَنَّهُ مَعَ عُلُوِّهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَهُوَ مَعَ الْخَلْقِ وَإِنْ كَانُوا أَسْفَلَ مِنْهُ، فَإِذَا جَعَلْتُمُ اللهَ فِي الْأَرْضِ فَهَذَا نَقْصٌ.

رَابِعًا: يَلْزَمُ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ أَحَدُ أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا وَكِلَاهُمَا مُمْتَنِعٌ:

١-إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ مُتَجَزِّئًا، كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ فِي مَكَانٍ

٢-وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَدِّدًا، كُلُّ إِلَهٍ فِي جِهَةٍ لِضَرُورَةِ تَعَدُّدِ الْأَمْكِنَةِ -تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

خَامِسًا: قَوْلُهُمْ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللهُ حَالًّا فِي الْخَلْقِ، وَصَارَ هَذَا سُلَّمًا لِقَوْلِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ[1].(*).

وَهَذا لَا يَصْدُرُ مِمَّنْ شَهِدَ مَشْهَدَ عُلُوِّ اللهِ تَعَالَى وَاسْتِوَاؤُهُ عَلَى عَرْشِهِ:

* فَمَنْ شَهِدَ مَشْهَدَ عُلُوِّ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَفَوْقِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَعْرَفُ الْخَلْقِ وَأَعْلَمُهُمْ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَتَعَبَّدَ

---

(١) «تهذيب شرح عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص ٨٧ - ٩٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) ص٨٧-٨٩بتِصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ لِقَلْبِهِ صَمَدًا يَعْرُجُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ مُنَاجِيًا لَهُ، مُطْرِقًا وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ وُقُوفَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ؛ فَيَشْعُرُ بِأَنَّ كَلِمَهُ وَعَمَلَهُ صَاعِدٌ إِلَيْهِ، مَعْرُوضٌ عَلَيْهِ، بَيْنَ خَاصَّتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهِ مِنْ كَلِمِهِ مَا يُخْزِيهِ وَيَفْضَحُهُ هُنَاكَ.

وَيَشْهَدُ نُزُولَ الْأَمْرِ وَالْمَرَاسِيمِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَىٰ أَقْطَارِ الْعَوَالِمِ كُلَّ وَقْتٍ؛ بِأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ وَالتَّصَرُّفِ؛ مِنَ الْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالتَّوْلِيَةِ وَالْعَزْلِ، وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَكَشْفِ الْبَلَاءِ وَإِرْسَالِهِ، وَتَقَلُّبِ الدُّوَلِ وَمُدَاوَلَةِ الْأَيَّامِ بَيْنَ النَّاسِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْمَمْلَكَةِ، الَّتِي لَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا سِوَاهُ، فَمَرَاسِيمُهُ نَافِذَةٌ كَمَا يَشَاءُ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

فَمَنْ أَعْطَىٰ هَذَا الْمَشْهَدَ حَقَّهُ مَعْرِفَةً وَعُبُودِيَّةً؛ اسْتَغْنَىٰ بِهِ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ) الْجُمُعَةَ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ٥/ ٢٠١٤م

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ ٣
أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ ٤
الْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ٦
الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ٧
الْإِيمَانُ بِصِفَتَيِ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ ١٩
أَقْسَامُ الْمَعِيَّةِ ٢٤
نَمَاذِجُ مِنْ مَعِيَّةِ اللهِ الْخَاصَّةِ مَعَ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ٣٠
أَسْبَابُ تَحْصِيلِ مَعِيَّةِ اللهِ ﷻ الْخَاصَّةِ ٣٥
أَثَرُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَعَنَا ٤٨
مُقْتَضَيَاتُ الْمَعِيَّةِ وَمُسْتَلْزَمَاتُهَا ٥٣
الْفِهْرِسُ ٥٧

❁ ❁ ❁